معالم مهمة لتجديد المودّة الزوجية

إعداد

أبو الحسن محمد الفقيه

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسـول الله وعلى آله وصحبه من والاه، أما بعد:

في الحيـاة قيم نبيلة متعـددة تجعل من وجودنا شـيئًا يبعث على الرضى والسـعادة، ونظل ما حيينا نبحث – بوسـائل شـتى – بأفكارنـا.. وطاقاتنـا.. وعواطفنـا.. عن كل شـيء – أي شـيء – يجعل من حياتنا هادئة مطمئنة ساكنة.

وتظل المعطيـات الـتي تشـكل بأبعادها وجودنا في أوسع معانيـه؛ تجبرنا – إذا ما شـئنا السـعادة حقًا – على أن نتأملها واحدة.. واحـدة.. وأن نحـترم أبعادها بعـدًا.. بعدًا..

فكما أن وجودنا على وجه البسيطة ليس محض صـدفة عابثـة.. وإنما أوجـدنا وأتقن خلقنا الله الـذي أتقن كل شـيء.. فكـذلك وجود العلاقة في وجودنا لم يكن إلا ناموسًا أتقن الله إيجـاده وتشـريعه وفطر الحيـاة عليه..

فالبعد الــروحي في وجودنا يمثل جــوهر السعادة في حياتنا.. فلا يمكن لنا أن نتذوق طعمها إلا بتحقيق العبودية للخـــــالق بكل مفرداتهــا.. فهــذا البعد هو النــور الــذي به نحيــا.. ونســعد.. ونخطو في الحيــاة ﴿**أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَـهُ نُـورًا يَمْشِـي بِــهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُــهُ فِي الظُّلُمَــاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا**﴾ **[الأنعام: 221]**.

ويبقى البعد النفسي والجســـــــــدي والاجتمـاعي مفـردات تنـدرج تحت مفهـوم العبــادة الشــامل وأسسًــا لا يمكن تحقيق السعادة إلا بتكاملها جميعًا.

وفي هــذا الإطــار تــأتي العلاقة الزوجية لتمد ظلالها على كل تلك الأبعــاد وتفــرض نفسها عليها جميعًا.. بشكل قـاطع حاسـم.. فـإذا تلك الأبعـاد.. دونما تلك العلاقة وكأنها خداج.. خداج.. خداج!

ومن خـــداجها أن يفقد صـــاحب الـــدين كمالـــه! وأن تضـــطرب النفـــوس.. وتتعكر عافية الأبـــدان.. وتختل التركيبة الاجتماعية

في الإنسان.

ألم تسمع قول رسول الله ﷺ وهو يقــول: «من رزقه الله امــــرأة صــــالحة فقد أعانه على شــطر دينــه، فليتق الله في الشــطر الثاني» **[رواه ابن حبان]**.

وقوله ﷺ أيضًــــا: **«أربع من الســـعادة: المرأة الصالحة، والمســكن الواســع، والجــار الصــالح، والمــركب الهــنيء. وأربع من الشـــقاء: الجـــار الســـوء، والمــرأة الســوء، والمــركب الســوء، والمسكن الضيق»** **[رواه ابن حبان]**.

وقوله ﷺ: **«الدنيا متاعه وخير متاعها المرأة الصالحة»** **[رواه مسلم]**.

فهــذه الأحـــاديث وغيرها مما في معناها تـــدل على أبعـــاد الســـعادة جميعها ترتكز بشــكل كبــير على العاطفة الزوجيــة، ففي قوله ﷺ: **«فقد أعانه على نصف دينه»** دلالة صــريحة على اكتمــال البعد الــروحي بــالمودة الزوجيــة، وكــذلك الأمر بالنســبة للبعد النفسي والاجتمــاعي والجســدي لمن تأمل الأحــاديث في هــذا البــاب، ولهــذا نجد

القـرآن الكـريم تطـرق في أكـثر من آية للعلاقة الزوجية وجعلها أســـاس التكامل والســكينة فمن ذلك قــول الله جل وعلا: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ **[الأعـراف: 189].**

وهل الحيـاة إلا السـكينة! وهل السـعادة إلا السكينة!!

وفي هـذا دليل على أن المـودة الزوجية هي بـاب عظيم من أبـواب السـعادة، وأن غيابها عن العلاقة الزوجية وموتها في الحياة الأسرية هو علامة شقاء نفسي تتنكد معه الحياة.

فما هي المفـاتيح الـتي يمكن بها تجديد المودة والرحمة والحب بين الزوجين.

* * * *

الإيمان بالله

الإيمـــــان بالله جل وعلا هو الأســـــاس الصـلـب الـذي يقـوم عليه صـرح المـودة الزوجية.. فالإيمان هو ما يجعل تلك المـودة عبــــادة يتقــــرب بها الزوجــــان إلى الله سبحانه.. ويلتمسان بصـفاء حبهما ومودتهما ورحمتهما لبعضهما الأجر والمثوبة.

فالزوج في وده لزوجته يمثل لقــول الله جل وعلا: ﴿وَعَاشِــــرُوهُنَّ بِــــالْمَعْرُوفِ﴾ **[النساء: 19]** وفي كلمة **[المعروف]** تترامى كل معـاني الفضـيلة. والنقـاء.. والإخلاص.. والمــودة.. والرحمـــة.. والعـــدل.. والخلق الطيب!

والزوجة أيضًــا حينما تـــود زوجها وتحبه تمثل لقول الله جل وعلا: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ **[البقرة: 228]**.

فالإيمان يجعل كلا الزوجين يتعبــدان الله جل وعلا بعشــرتهما.. ويتقاســمان في تلك العشرة المسئوليات التي فرضـها الله على

كل منهما.

وفي السـنة أحـاديث كثـيرة تحث على عناية الرجـال بالنسـاء، وطاعة النسـاء للرجـال.. وكلها – إذا تأملناها – تـدور على محـور واحد هو تحقيق المـودة والرحمة والحب، والخلق الطيب في العلاقة الزوجيـة. قـال رسـول الله ﷺ: «**أكمل المؤمـنين إيمانًا وأحسـنهم خلقًا ألطفهم بأهله**» **[رواه الترمذي]**.

وقال ﷺ أيضًا: «**خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي**» **[رواه الترمذي]**.

وعن أبي هريـرة ﷺ: سـئل رسـول الله ﷺ أي النسـاء خـير؟ قـال: «**التي تسـره إذ نظـر، وتطيعه إذا أمـر، ولا تخالفه في نفسـها وماله بما يكـره**» **[رواه النسائي]**.

والأحاديث في هذا الشأن كثيرة جدًا.

لكننا في هـذا الكتـاب لسـنا بصـدد سـرد الحقـوق الزوجية حقًا حقًـا، وإنما الإشـارة في معـالم مهمة إلى المفـاتيح الـتي تجعل من أداء تلك الحقـوق شـيئًا سـهلاً على

النفـــوس، وأول تلك المعـــالم وأعلاها هو خـــوف الله جل وعلا والتعبد له بالعشـــرة الصـــالحة الطيبة الـــتي هي من مقتضـــيات الإيمان بالله جل وعلا.

ولابد للزوجين أن يعلما أن لهما على كل ودر.. ومحبـــة.. ورحمـــة.. ومعاملة طيبة تسوء علاقتهما أجرًا ومثوبة كيف لا وقد بين الرســـول ﷺ في الحـــديث أن لهما على جماعهما ومعاشـــرتهما أجـــرًا، فقد ســـأله الصحابة رضـوان الله عليهم: «أيـأتي أحـدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قـال: «**أرأيتم لو وضعها في حرام أكـان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**» **[رواه مسلم]**.

* * * *

الـحــب

الحب.. كلمة رقيقة تختزل في رقتها كل معــاني العواطف النبيلــة.. لكن هل يكــون جوهرها على نقائه وصفائه غامضًا من حيث ماهيته وحقيقتـــه.. بينما تظل معانيه ممثلة في الانجــذاب والميل والمتابعة وغيرها من المعاني السامية قائمة ما أقام ذاك الجوهر في الوجدان!

وهـــذا.. ما يجعل **«الحب في العلاقة الزوجية»** هو أعظم دليل إلى نجاحها بعد الإيمان بالله جل وعلا.

ففي الحب الطـــاهر الخـــالص تنحصر العلاقة الزوجية انحصارًا عظيمًا.. ثم تأخذ – باسم الله – مجراها في كل ينابيعه ومسالكه العميقة الغائرة في النفس، حـتى إذا اســتوفت انصــهارها فيهــا.. اســتقرت ورست.. على نحو يستحيل معه الفكاك..

ومن الحب وحده.. يتولد كل شــيء! فله قـــدرة مدهشة على أن يجـــبرك على أن تقول الشعر ولست بشاعر!

وأن تقـول ما تخجل من قولـه! وأن تلين وإن كنت غليظًا! وأن تحن وإن كنت قاسيًا! وأن تسـتعذب فيمن تحب ما كنت بـالأمس تستقذره!

ولذا فـإن سر المـودة الزوجية يكمن فيه وحده! كينونتها.. وكمالهـا.. وبقاؤها كل ذلك يعتمد على مـدى الحب الـذي يسـكن قلب الزوجين.

فـالزوج الـذي يحب زوجتـه.. لا يقف عند حدود أداء حقوقها.. وإنما يتفاني بكل شيء لا محظور فيه ليسعدها ويرضيها.. حـتى إن تفانيه في ذلك ليأتي بشكل تلقـائي لا كلفة فيـه.. والشـيء نفسه ينطبق على الزوجة المحبة لزوجها.

فـالكلام الطيب.. والابتسـامة العذبـة.. والنظـرة الآسـرة.. والحنـان.. والمـودة والرحمـة.. والاحتمـال والتغاضي عن ألأخطاء.. والتسامح.. والتعاطف.. والرفق.. والانجـذاب.. كلها بعض ثمـرات الحب الصادق الذي يسود العلاقة الزوجية، وتزداد تلك الثمـرات حلاوة وطـراوة كلما كـان

الحب أخلص وأصدق!

ومن العجيب أن بذرة الحب بذرة طيبــة، فأحيانًا تنمو بـــــذاتها دونما أن تحوجنا إلى فعل شيء! وأحيانًا أخرى يحتـاج إلى نمـوه إلى بذل جهد حتى يخرج نباته بإذن ربه.

ومخطئ من ظن يومًا أن زواجًا لم تسبقه قصة حب هو زوج فاشل!

مخطئ.. ليس فقط لأن الوقـائع تكـذب ذلك ولكن أيضًا – لأن مساحة القلب أرحب من أن تضيق بالحب بعد الزواج!

يقولون: كي تكون متحضرًا لابد أن تكون مثقفًـا، حسـنًا – فـالحب ظـاهرة إنسـانية تحكمها قـوانين العلـوم الإنسـانية.. هكـذا تقـول الثقافـة.. ونقـول أيضًـا: إن الظـواهر الإنســانية هي ظـــواهر متجـــددة، خفيـــة، ومتغـيرة في الإنسـان.. لها أسـباب تـوجب وجودها وأخـــرى تـــدفعها إلى الـــزوال، وإذا أعملنا هـــذه الثقافة في واقع الحـــال.. نجد أن العلاقة الزوجية هي أخصب تربة لأطيب حب! وأن أي علاقة محرمة – فيها حب – هي إلى الـــزوال أقـــرب منها إلى البقـــاء،

فالعلاقة الزوجية والعلاقة المحرمة تشــتركان في استحســان العلاقة في أول نظرة! لكن تبقى العلاقة الزوجية – بميثاقها الغليظ – قوية البنيــان.. صــلبة الأركــان.. واضـحة لا خفـاء فيهـا.. متينة تشق طريقها في اتجـاه الفطـرة الـتي فطر الله النـاس عليهـا.. فهي العش الـدافئ الـذي تجد فيه القلوب سـكينتها.. وعواطفهمـا.. وتطـير به في رحاب الحياة..

وعلى كل زوج.. وزوجة يريـدان لحياتهما السـعادة.. ولعلاقتهما النجـاح أن يتـأملا مليًا في هذه الزاوية من عواطفهمـا.. سـيجدان أنهما يمتلكــان الأرضــية الخصــبة لنمائها وتعاهدها من حين لآخـر.. ما داما يشـتركان في قواسم كثيرة في رابطتهما الزوجية.

ومن الوســائل الــتي تنمو بها المحبة والمودة أيضًا.

* * * *

التعـبـير

إذا كـان الحب هو نبض المـودة الزوجية وجوهرهـا.. فـإن التعبـير عنه هو ما يضـمن تلاقي العواطف بين الـزوجين وتواصـلها.. فـالزوج المقصر في التعبـير عن حبه لزوجتـه.. وإن يكن يشـعر بحبها – يعيش حالة انقطـاع عـاطفي بينها وبينـه.. فيكـون وجود حبه الخفي في قلبه كعدمه! والشيء نفسه يصدق على الزوجة كذلك.

لا شيء يمكن أن يقارن في هذا المجـال – بقـدرة الـزوجين عن التعبـير عن الأحاسـيس الرقيقة بالعبـارات الرقيقـة.. وكل وسـيلة تصل بـالمودة إلى أعمـاق القلوب..

* * * *

ومن الوسائل التي يمكن التعبير بها

الكلمة الحانية: من أنواع السـحـر: سـحـر العطف وسـحـر الصـرف! فسـحـر العطف يجعل القلوب منصهرة في بعضـها.. وسـحـر الصرف بعكس ذلـك.. هـذا يعرفه كثـير من الناس! لكن ما يجهله أكثرهم أن للتعبـير ما للسحر من التأثير.. لـذلك قـال رسـول الله ﷺ: «إن من البيان لسحرًا».

فحينما يتقن الـــزوج بيـــان حبه لزوجته بأعـــذب عبـــارة في عرفه ولغتـــه.. وحينما يمتلك مهـارات التعبـير.. بالشـكل المناسب في الوقت المناسب.. فحينها يكون سـحره في عطف قلبه الزوجة أسـحـر من هـاروت وماروت.

طبيعة النفس أن تحب الكلمة الطيبـــة.. وطبيعة الزوجة أن تحب ســـــماع ذلك من الزوج.. وأبغض ما تبغض فيه أن تـراه بخيلاً في إبداء عواطفه ومشاعره.

ولك أن تتأمـل.. وتتسـاءل عن السر في

جــواز الكــذب في الحيــاة الزوجية في هــذا الباب!

فعن أم كلثـوم بنت عقبة رضي الله عنها أنها ســمعت رســول الله ﷺ يقــول: **«ليس الكـــذاب الـــذي يصـــلح بين النـــاس فينمي خــيرًا أو يقــول خــيرًا»** قـالت: ولم أســمعه يــرخص في شــيء مما يقــول النــاس إلا في ثلاث: الحــرب، والصــلح بن النـــاس، وحــــديث الرجل امرأته والمــــرأة زوجها» **[رواه البخاري ومسلم]**.

النظرة الآسرة: فإذا كـان أشـعر مـا قالته العرب هو قول الشاعر:

إن العيون التي في طرفها
قتلننا ثم لم يحيينا قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا
وهن اضعف خلق الله إنسانا

فــإن غــيره قد جسد يعــدًا آخر لجمــال العين.. يجعل من العيون كيفما كان شــكلها ولونهــا.. جميلــة.. غاية في الجمــال.. حيث قــال في عبارته الوجــيزة.. **«إن الجمــال في عين الناظر»**!.

فهيئة نظـرة العين.. أجمل ما في العين! لذلك فإن العين الجميلة المجـردة عن هيئة النظــرة الجميلــة.. كالجسد المجــرد عن الروح.. فلهيئة النظرة حس ولغة.. إذا أتقن كل من الـــــــزوجين توظيفها في عثرتهما كفتهما عن الكلام..!

وكما أن لعين الحاسد بريقًا خاطفًا في نظراته.؟. ولعين الحاقد قسوة تتحجر فويق حواجبــــه.. فلعين المحب روحًا تتكلم.. بل وتبتسم أيضًــا.. فــإذا إشــراقها كإشــراف الصباح.

* القبلــة: تــروي عائشة رضي الله عنها وتقــول: «كــان رســول الله ﷺ يقبلــني وهو صائم».

أخذ العلماء من هذا الحديث جــواز تقبيل الزوجة في الصــــــيام لمن يجد في نفسه القدرة على إمساك إربه.

وفي الحــديث أيضًــا دليل على أن القبلة من المعــــاني الطيبة للعشــــرة الزوجية الناجحة.

وللقبلة تــأثير عجيب في توطيد المــودة

الــزوجي.. فهي ليست دائمًا تــأتي بــدافع المعاشـــرة بمعناها الواســـع.. كما أن لها أحيانًا لمســـات تتجـــاوز معانيها حـــدود الشهوة.. ويـرى تأثيرها في الـروح والجسد بشكل غامض في جو من التلاحم والـتراحم والحنـــــان والانصـــــهار تتلاشي فيه كل المعضــلات الــتي قد تعكر صــفو المــودة الزوجيــة. فلا شــيء يســكت به الــزوج فم زوجته كالقبلة الحــارة العذبــة.. بين الحين والآخر.

* **الهدية:** وهي أيضًا من وسائل التعبـير المهمة عن المـودة والاهتمـام.. تجـبر كسر النفوس إذا كـانت عقيب خصـام.. فهي من دواعي تجديد المحبة كما قــال رســول الله ﷺ: «تهــادوا تحــابوا» وتستحسن أيضًــا في الأعيـاد والمسـرات والمناسـبات والأوقـات بحسب الأعـــــــــراف.. لكنها في العلاقة الزوجيــة.. أوسع شـمولاً من ذلـك.. فهي لا ترتبط بالمناسبات والأعياد.. والصلح فقط.. وإنما ترتبط بما في همة الــــــزوجين من اســتعداد لتجديد المــودة كل وقت وحين؛

فالهدية حينما يكسوها عنصر المفاجأة.. ولا تكون المناسبة فيها إلا التعبـير عن المـودة؛ تكـــون أشد وقعًا على النفس وأبعث على امتلاكهـا.. لا سـيما حينما تكـون بالأسـلوب الشيق.. العذب..

وليس ضـــروريًا أن تكــون الهدية باهظة الثمن.. وإنما المقصود معناها.. وأســلوبها.. فــذاط ما يلفت عاطفة القلــوب النقيــة.. ويأسرها.

التـوحـد

التوحــد.. هو أســمى حــالات الانســجام النفسي والعـــاطفي بين الــــزوجين.. وهو ضروري جدًا في العلاقة الزوجية.

فالتوحد شــــعور يغمر نفســــية كل من الــزوج وزوجته ليجعل من الاثــنين واحــدًا متحــديًا كل قواعد الرياضــيات ومنطقهــا.. فالأبعاد النفسية في الإنسان أعمق وأغمض من أن تحكمها القواعد العلمية.

يظل الذكر ذكرًا.ز والأنثى أنثى.. ﴿**وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى**﴾ لكن النفس الــتي منها خلق الله الأنــثى تــأبى إلا أن تشــعر بــالنقص الشـديد.. وبحاجتها إلى الكمـال بالتوحد من جديد مع زوجهــا! قــال تعــالى: ﴿**هُـوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِــــدَةٍ وَجَعَــــلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا**﴾ **[الأعراف: 189]**.

وقــال تعــالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِـهِ أَنْ خَلَـقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِـكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْـكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَـلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾ **[الروم: 21]**.

* * * *

ومن مفردات التوحد

*** التوحد في الشعور والوجدان:**

وهو أجمل شـــــيء يجعل من المـــــودة الزوجية حياة ناجحة طيبة، فكـأن للـزوجين بهذا الشعور قلبًا واحدًا! فما يكنه الزوج من الحب والإخلاص والنقـــــاء لزوجـــــه.. تكنه الزوجة أيضًا.. فـإذا بنبضـات قلبيهما تتنـاغم في توحد هــذا الشــعور.. تناغمًا يغــدو في العلاقة الزوجة كالروح للجسد..

والشـــعور بالتوحد في المـــودة والحب.. أسـمي من الحب نفسـه! فقد يجب الرجل زوجته لكن لا يجد منها الشـــــــــعور نفسه لسبب أو آخـر! والعكس بالنسـبة للزوجـة.. لكن حينما تسـتيقن القلــوب بكل وســائل التعبير أن التوحد يغمرها.. هنا.. فقط تكون المودة الزوجية في أسمى منازلها الرفيعة! وللتوحد في الشـعور حلاوة يهـون أمامها كا مرير! فهذا الشعور وحـده كفيل بـأن يـزيح كل شـيء يهـدد العلاقة بين الـزوجين مهما كان شأنه.. لأنه كما يفرض على النفس أن

تكـون مخلصة وفيـة.. فهو يفـرض عليها أن تحضي بكل غـــالٍ ونفيس لأجل من تحب، ولذلك فإن من ثمراته:

*** التوحيد في المسرات والأحزان:**

طبيعة الحيــاة.. مســرات ونكــد.. وفي الحيـاة الزوجية أيضًـا مسـرات ونكـد.. لكن المـودة الزوجية الناجحة تبقى ثابتة لا تهزها طبيعة الحيـــاة.. بل تزيد من مســـتواها.. فحينما يشـــترك الزوجـــان في كل ســـراء وضـراء تصـيبها أو تصـيب أحـدهما. وحينما تتوحد الأحـــزان والـــدموع.. والابتســـامات والأفـراح.. في كل الظـروف المحيطة بهما تكون الحياة الزوجية في أطيب لحظاتها..

تمضي الأحـــزان.. وتنقضي المصـــائب.. لكن تبقى لحظات التـآزر والتوحد والنصـرة فيها شـاهدة على المـودة الخالصـة.. تزيد من شموخها.. وتضـيف إلى سـجل ذكرياتها واحدة من أجمل حكاياتها الخالدة.. وأكثرها وفاء!

*** التوحد في العبادات:**

عن أبي ســعيد الخــدري قـــال: قـــال

رســـــول الله ﷺ: «إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصـليا – أو صـلي – ركعـتين جميعًـا؛ كتبا في الـــذاكرين والـــذاكرات» **[رواه أبو داود]**.

هـــذا في قيـــام الليل.. وهو من أقـــوم العبادات.. وفي تعاون الزوجين على القيـام بهـذه العبـادة.. في صف واحــد.. في وقت مبارك واحد.. معنى زوائد على قيام الليل!

فكما أن من ثمـرات صـلاة الفريضة في جماعة توحيد المســـلمين.. ومن ثمـــرات الجمعة ذلك أيضًا.. فكـذلك لقيـام الـزوجين معًا في ظلمة الليل لعبــــادة الله ثمـــرات يانعة وتوحد.. وإن كـان القصر هو وجه الله سبحانه..

وهذه الخصلة الطيبة واحــدة من خصـال كثــير يحسن بـــالزوجين الحــرص عليهـــا.. كتلاوة القـرآن في جلسة واحـدة.. والقيامة بـــــالعمرة.. وتقاسم الهمـــــوم الدعوية ومناقشـــتها في برنـــامج واحـــد.. ومدارسة الأعمــال الخيرية وإنجازهــا.. ونحو ذلك من أ'مــال الــبر الــتي توحد الــزوجين في جو

روحاني تزداد به المودة سموًا وشرفًا!

*** التوحد في العادات والرغبات:**

ومن مفـــــردات التوحـــــد، التوحد في العـادات عمومًـا.. وهـذه الناحية يلعب فيها الزوج دورًا رئيسًا؛ لأنه المَعْنِيُّ بالتنـازل عن عاداته الـتي لا محظـور في التنـازل عنهـا.. ففي عمله هـذا تـدليل للزوجـة.. ومجـاراة لطبيعتها المحبة للتدلل، وتفـاني الـزوج في إرضائها..

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعـالى عن عائشة أن رسـول الله ﷺ كـانت إذا اشـتهت شيئًا لا محظور فيه تابعها عليه.. وقد كان ﷺ خـير النـاس لأهلـه..! فيحسن بـالزوج أن يكون كـذلك وأن يتوحد مع زوجته وشـريكه حياته في رغباتها الجـــائزة والمســـتحبة والواجبـة، فليس ثمة ما يخسـره.. لكنه في الـــوقت نفسه يـــربح نفســيتها.. ويكسب بطيب خلقه ودها – وقد كـــان ﷺ يـــنزل عند رغبات عائشة فسابقها في الْعَـدْوِ، فسـبقته يومًـا، وسـبقها في بعض الأيـام، فقـال ﷺ: **«هذه بتلك» [رواه أبو داود].**

وروي ﷺ أنه كـانت إذا شـربت شـرب من المكان نفسه الذي شربت منه ووضـعه فيه فاهـا، وفي هـذا المشـهد لفتة آسـرة دالة على أن الحـرص على كل الرمـوز المباحة التي توحد بيت الزوجين فيه أثر عظيم على غرس المودة الزوجية بين الزوجين.

الملاطفة والمعاشرة بالمعروف

لم يغفل الفقهاء القـدامى – رحمهم الله رحمة واسـعة – هـذا الجـانب المهم في الحياة الزوجية في اجتهـاداتهم الفقهيـة، بل دونوه في ثنايا الأحكـام الشـرعية، وجعلـوه جزءًا لا يتجزأ من أحكام النكاح..

قـال ابن قدامة رحمه الله تعـالى: «ويسـتحب أن يلاعب امرأته قبل الجمـاع لتنهض شهوتها فتنـال من لـذة الجمـاع مثل ما نالـه، وقد روي عن عمر بن عبد العزيز أنه قـال: «لا تواقعها إلا وقد أتاها من الشهوة مثل ما أتاك، لكيلا تسـبقها بـالفراغ قلت وذلك إلى أن قـال: نعم. إنك تقبلها وتغمزها وتلمزهـا، فـإذا رأيت أنه قد جاءها مثل ما جاءك واقعتها» فإن فرغ قبلها كـره له النزع حـتى تفـرغ؛ لما روي أنس ؓ قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «**إذا جـامع الرجل أهله فليقصـدها ثم إذا قضى حاجته فلا يعجلها حتى تقضي حاجتها**» ولأن في ذلك ضـررًا عليها ومنعًا لها من قضـاء

شهوتها» **[المغني بالشرح الكبير (8/136)].**

وفي هـــذا التأصـــيل الفقهي لمســـألة المعاشــرة الزوجية (الجمــاع) إشــارة إلى مفتــاح آخر من مفــاتيح المــودة الزوجيــة، فالمعاشرة حق مشترك بين الزوجين فكما لا يحل للمرأة الامتنـاع عن زوجها وهجـران فراشه، فلا يجوز للـزوج أن يحـرم أهله من حق الفـــــراش، أو أن يكـــــون أنانيًا في معاشرته.. أو أن يبادر دونما تمهيدًا.

وما نقصـــــده هنا ليس هو المعاشـــــرة نفســـــها.. وإنما مراعـــــاة عنصر التوحد الوجـــــداني فيهـــــا.. وتجســـــيد ذلك في المداعبـة.. والملاطفـة.. وطـرف الحـديث والمشاعر الرقيقة.. على نحو ما سبق فـإن ذلك أحـرى أن يـؤدم بين الـزوجين ويحفظ المودة بينهما.

وفي شأن التغليظ على الزوجة الممتنعة عن زوجها جـاءت الأحـاديث زاجـرة ناهية محـذرة إياها من العـواقب الوخيمـة، قـال رســـــول الله ﷺ: **«إذا دعا الرجل امرأته**

إلى فراشه، فلم تأته، فبات غضـبان عليها لعنتها الملائكة حـتى تصـبح» [رواه البخاري].

وقد سئل شـيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه الله عن الرجل إذا صبر على زوجته الشـهر والشـهرين لا يطؤهـا: فهل عليه إثم أم لا؟ وهل يطالب الزوج بذلك؟

فأجـاب: يجب على الرجل أن يطأ زوجته بـالمعروف؛ وهو من أوكد حقها عليه أعظم من إطعامها.

«والوطء والواجب» قيـل: إنه واجب في كل أربعة أشـهر مـرة. وقيـل: بقـدر حاجتها وقدرته؛ كما يطعمها بقـدر حاجتها وقدرتـه. وهـذا أصح القـولين، والله أعلم» **[مجمـوع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (32/271)].**

* * * *

المسئولية

تقاسم الأدوار في أداء المسـئوليات من أهم الأمـور الـتي تضـفي على العلاقة الزوجية ملح السعادة.

وفي الحـديث عن النـبي ﷺ قـال: «**كلكم راع وكلكم مسـئول عن رعيتـه؛ فالإمـام الـذي على النـاس راع وهو مسـؤول عنهم، والرجل راع على أهل بيته وهو مسـؤول عنهم» [رواه البخاري]**.

وعن عمـرو بن الأحـوص ﷺ أنه سـمع رسـول الله ﷺ يقـول في حجة الـوداع: «**ألا وإن لكم على نسـائكم حقًـا، ولنسـائكم عليكم حقًـا، فحقكم عليهن أن لا يـوطئن فرشـكم من تكرهـون ولا يـأذن في بيـوتكم ممن تكرهون» [رواه الترمذي]**.

وباستقراء نصـوص الكتـاب والسـنة نجد الإسـلام قد جعل للزوجة حقوقًا على زوجها، كما جعل للزوج حقوقًا على زوجته،

كما جعل بينهما مسـؤوليات مشـتركة في حياتهما الزوجية، وإن احترام هـذه الحقـوق في الحياة الزوجية والقيـام بما تقتضـيه من مسـئوليات لَيجعل من العلاقة الزوجية علاقة ناجحة عارية عن المشـاكل والخلافات.

فـالحقوق الـتي أوجبها الله على كل من الزوجين.. هي معـالم للحيـاة الطيبـة.. فهو سـبحانه أعلم بخلقـه.. وأرحم بهم.. لـذلك فكل تشـريع جـاء في العلاقة الزوجية فإنما هو منهج رباني تسـعد به الأسـرة جميعهـا.. وتجـني من اقتنائه سـعادتها في الـدنيا والآخرة.

فالحب.. والمـودة.. والتوحد هي بـذور لا يمكن أن يكتب لها النمـاء.. ما لم تكن ترتبها نقية من كل شـوائب الجاهلية والتغـريب.. والتقليد الأعمى.. وحـتى إذا نمت.. فما تفتأ تذبل ولا يكتب لها بقاء..

ولأجل هذا فإن المودة الزوجية لا يستقيم عودها إلا باتبـاع منهج الله وحـده في أداء المسئوليات والحقوق دونما التأثر بالثقافـات

الوافدة والعادات المهربة، قـال تعـالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾ **[الأحزاب: 63]**.

وقد قضى الله جل وعلا على الزوجة بحقوق على زوجها، وأهمها: طاعته في المعروف.

فعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها**» **[رواه الترمذي وصححه الألباني]**.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت**» **[رواه أحمد]**.

فطاعة المرأة لزوجها في المعروف واجبة باتفاق أهل العلم، وهو من آكد الحقوق، لذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

وليس على المـــرأة بعد حق الله ورســـوله أوجب من حق الزوج» **[مجمـوع الفتـاوى (32/260)]**.

وهـذا الحق يقتضي أن يكـون الـزوج هو القوام في الـبيت وأن يكـون شخصًا يخـاف الله في السر والعلن ولديه قـدرة في تحمل المسئولية؛ لقوله جل وعلا: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ**﴾ **[النساء: 34]**.

ومن حقوقه عليها ألا تمتنع من فراشـــه، وأن لا تأذن لأحد بغـير رضـاه في بيتـه، وألا تقـــــوم إلا بإذنـــــه، وأن تحفظه في غيبته وحضوره، وأن ترعـاه في ماله وولـده، وأن تقنع بعيشـه، وأن تصـون أسـراره، وتشـكر أفضـــاله وتـــبر أرحامـــه، وتحفظه في دينه وعرضه.

كما قضى الله بحقـــــــوق للزوجة على زوجهـا، وأهمهـا: أن يعاشـرها بـالمعروف، وأن يستوصي بها خـيرًا؛ لقـول الرسـول ﷺ: **«اتقـــوا الله في النســـاء، فـــإنكم أخـــذتموهن بأمانة الله واســـتحللتم فـــروجهن بكلمة اللـــه، ولهن عليكم**

رزقهن وكسوتهن بالمعروف». **[رواه مسلم]**.

وعن أبي هريرة قال: قـال رسـول الله : «**إني أُحْـرَجُ حق الضـعيفين: اليتيم والمرأة» [رواه أحمد]**.

ومن حقوقها عليه أن يصـــون ســـرها ويحفظ ودها ويــأذن لها بــالخروج لحاجاتها الماســة، ولا يمنعها المســاجد، وألا يطــرق بابها ليلاً إذا جــاء من ســفر، وأن لا يجبرها على معصـــية، وأن يقيها النـــار بحثها على الطاعة، وأن يصــبر على غيرتهــا، وأن ينفق عليهـــا، وأن يـــبر أهلها وأن لا يظلمها في نفسها ولا مالها، وأن يصوم عرضها ودينها.

فهـذه جملة مختصـرة من المسـؤوليات الواجبة على الـــزوجين، وبمراعاتها تحفظ المودة وتدوم العشرة.

الاحتمال

كل علاقة زوجية لا تجعل من احتمـــــال الــزلات مبــدأ في قاموســها لن تنجح! هــذا ليس كلامًا إنشـائيًّا عاريًّا عن الواقعية ولكنه حقيقة طالما نطقت بها حـــــــالات الطلاق المستشــرية بقــوة في أرجــاء المجتمــع؛ فـأغلب أسـباب الطلاق - بحسب ما تفيـده الدراسـات - تعـود في العمق إلى النفسـية الـتي تحكم العلاقة الزوجيـة، وليس إلى ما قد يتبادر للذهن من خيانة وأخطاء فادحة لا تحتمل!

فالحاجة إلى الاحتمـــــــال ملحة في كل علاقة زوجية.. فلابد فيها من أخطاء.. ولا بد فيها من تجــاوزات.. ونســيان.. وحــوادث.. ومشاكل.. والعفو واحتمال الزلات ضــرورة شـرعية وكونية في الحيـاة الزوجيـة، لـذلك قــال رســول الله ﷺ: **«لا يفــرك مــؤمن مؤمنة إن كــره منها خلقًا رضي منها آخر» [رواه مسلم]**.

وقد كــان رســول الله ﷺ مثــالاً عمليًا في

احتماله لـزلات نسـائه، فقد راجعت عمـرَ امرأته في الكلام فقـال: أتراجعينـني يا لكعـاء. فقـالت: إن أزواج رسـول الله يراجعنه وهو خير منك».

وتأمل كيف كـان رسـول الله يعـالج مشاكل نسـائه، فعن أنس رضي الله عنهما قال: كـان رسـول الله عند بعض نسـائه، وفي رواية عائشـة: فـأنزلت إليه إحـدى أمهـات المؤمـنين بصـحفة فيها طعـام، فضـربت الـتي هو في بيتها يد الخـادم، فسقطت الصحفة، فانفلقت، فجمع رسـول الله فِلَـقَ الصـحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الـذي كـان فيه الصـحفة، ويقـول: «**غـارت أمكم غـارت أمكم**». ثم حبس الخادم، حتى أتى بصـحفة من عند الـتي هو في بيتها فـدفع الصحفة إلى الـتي كسـرت صـحفها، وأمسك المكسـورة في بيت الـتي كسرت فيه» **[رواه البخاري]**.

وإذا كـان العفـو.. والتجـاوز.. والحلم من الأخلاق الفاضـلة الـتي يحـرص عليها كل مـؤمن ومؤمنـة، فـإن الحـرص عليها في

الحيـــــــــاة الزوجية أوكد وأولى؛ لأنها بتلك الأخلاق تصان الأسرة من الفرقة والضــياع، وتحفظ المودة والمحبة.

* * * *

خـاتمـة

تعد المــودة الزوجية مصــدرًا عظيمًا من مصــادر ســعادتنا في الحيــاة.. وفي أكنافها يوجد جزء كبـير من الســكينة الـتي ننشـدها في عيشنا.

إن المـــــودة الزوجية نعمة عظيمة امتن الله جـــلَّ وعلا بها على عبـــاده.. ﴿**وَجَعَـــلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾ **[الروم: 21]**.

وحق النعمة أن تشــكر وتحفـظ؛ ليـدوم عطاؤها، ولتزداد ثمارها وبركاتها.

وإنما تحفظ هذه المودة بتفاني الـزوجين وحفظهما للعشرة الزوجية، وما تقتضيه من حب وإخلاص ووفاء ونقاء وصـفاء وعواطف ومشـــاعر، وحفـــاظ على المســـؤوليات ومراعــاة للحقــوق والواجبــات، واحتمــال للأخطاء والسيئات.

فلو أن الـزوجين رعيا المـودة وتعاهـداها بالثناء بكل وسيلة مباحة لما كان للخلافــات الزوجية قصصًا تروى.. ولا لمشاكل الطلاق حكايات تحكى.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * * *

الفهرس